

الفصل الحادي عشر

الشعر في عهد الإخشيديين

حاول محمد بن طنج الإخشيد أن يستقل بمصر وما يتبعها من بلاد الشام ، وأراد أن يكون له فيها ملك متوارث ، كما كان للطولونيين ، وقد نجح في ذلك^(١) وساعده على الاستقلال ضعف الخلافة ، واستبداد القواد والوزراء الأتراك بأمورها ، وكثرة الفتن والثورات في حاضرتها وولاياتها .

وكان هذا الاستقلال سبباً في استمرار النهضة بالنواحي الأدبية التي بدأت تتأقلم من عهد الطولونيين . وكان من آثارها ظهور كتاب وشعراء مصريين ، وزيادة العناية بالنقد والرواية ، ووفادة العلماء والأدباء على هذه البلاد للتعلم أو التعليم ، وطلب الغنى والجاه فيها ، والاستقرار بها إذا طاب لهم المقام . وكان لتشجيع الأمراء ورجال الدولة أثر كبير في هذه النهضة ، فكان الإخشيد ممدحاً لفضله وأعماله ، وكان كافور أديباً أريباً محباً للعلم ، وألف الكندي له كتاب فضائل مصر^(٢) وكان محباً للأدب حريصاً على المدح والإثابة عليه ، وكان الوزير جعفر بن الفرات المعروف بابن حنزابه فاضلاً محباً للأدب حريصاً على المدح ، معنياً بالعلم والحديث خاصة .

(١) تولى محمد بن طنج أمر مصر سنة ٣٢٣ ، ومنحه الخليفة لقب الإخشيد سنة ٣٢٧ ومات سنة ٣٣٤ ، وهي السنة التي صار الأمر فيها للبويهيين ببغداد ، وأخذ البيعة قبل موته لابنه أبي القاسم أونوجور ، فبايعه القواد وكان أونوجور صغيراً فاختر أبو المسك كافور قياً عليه ، فاستبد بالأمر وظل صاحب السلطان في البلاد حتى مات أونوجور سنة ٣٤٩ ، وولى بعده أخوه أبو الحسن علي بن الإخشيد ، وكان صغيراً أيضاً ، فبقى السلطان لكافور ، ثم مات أبو الحسن سنة ٣٥٥ فاستأثر كافور بالأمر حتى مات سنة ٣٥٧ ، خلفه صبي من الإخشيديين اسمه أبو الفوارس أحمد بن علي ، ثم استولى عليها الفاطميون سنة ٣٥٨ هـ .

وكان في البلاد شعراء في زمن الإخشيديين ، نعد منهم صالح بن مؤنس ،
ومحمد بن الحسن بن زكريا ، ومهلل بن يموت ، وعبد الله بن أبي الجوع ، وسعيد
ابن فاخر المعروف بقاضي البقر ، والحسن بن علي الأسدي ، وصالح بن رشدين ،
والعباس البصرى ، وأبا هريرة عبد الله بن أبي العصام . كما وفد عليها شعراء من
الأقطار المجاورة ، كأبي الفتح كشاجم ، وأبي الطيب المتنبى .

وظهر في البلاد شعر متنوع الأغراض والأساليب ، ولكنه كان في مجلته
مطبوعاً بطابع الروح المصرية ، ومتصلاً بالبيئة التي نشأ فيها ، ومتأثراً بالحياة التي
عاشها شعراؤه . وترى فيه المدح ، لرغبة أولئك الرؤساء فيه ، وحرصهم عليه ،
ومجازاتهم للشعراء إذا مدحوا . كما ترى فيه الهجاء إذا سخط الشاعر على هؤلاء
الرؤساء والسادة ، أو ضاق ذرعه بغير هؤلاء من الأصدقاء أو الأعداء . وترى فيه
الوصف الجميل لمناظر البلاد ومنتزهاتها التي كانت مشهورة عندئذ ، وللأديرة وما يحيط
بها من جنات ، وما يتصل بها من لهو ومرح وشراب وصيد ، وما يكون بها من
متع وراحة نفس .

ولا يخلو مثل هذا الشعر المرح من عبث أحياناً ، ومن مبالغة قد تخرج
صاحبها على حدود الأدب أو الدين ، ولكن بعض الشعراء كانوا يجدون من
الحرية والتسامح ، وكان فيهم من ضفد الدين ، أو الرغبة في التطرف ، ما يجعل
مجاورة هذه الحدود أمراً يسيراً .

وإذا رجعت إلى هذا الشعر وجدت فيه من المدح شعراً سهلاً كتلك الأبيات
التي مدح بها صالح بن مؤنس جعفر بن الفرات وأهله ، فقال فيهم^(١) :

قد مر عيد وعيد ما اخضر لى فيه عود

(١) معجم الأدباء ج ٧ ص ١٧٢ .

وكيف يخضر عودي والماء منه بيمد
يا من له عددُ الحمد كلها والعديد
آل الفرات ندام على الفرات يزيد
وأنت فضلك فيهم عليك منه شهود
وكل يوم لغيري من راحتك مُدود
هل لي إلى الرزق ذنب فكان منه صدود
ما الناس إلا شقي في دهرنا وسعيد

وكان أبو القاسم بن أبي العفيرة الأنصاري ممن يعارض المتنبي ، وقد يحضر
بجلسهما كافور وبعض الوزراء ، كأبي بكر بن أبي صالح الروزباري ، وأبي الفضل
جعفر بن الفرات . وكان لأبي القاسم مدائح في الوزير أبي بكر^(١) . كقوله :

أما الثناء فصادر بك وارِدُ بادٍ بما تسدى إلى وعائد
لك يا أبا بكر إلى صنائعُ أيقظن أحوالي وجدى راقد
أوليتني نعمتا متى أنكرتها شهدت على مواهب وفوائد
ثم يشير إلى كثرة مدائحه فيه فيقول :

وقصائد لي فيك لولا أنها كلم شهدت بأنهن مشاهد
ولهن في عين الولي شواهد تترى ، وفي عين العدو جلامد

ومن الهجاء قصيدة قالها كشاجم في هجاء غلام له اسمه كافور ، وعرض فيها
بكافور الإخشيد ؛ إذ يقول :

حكيت سميك في برده وأخطأك اللون والرائحة^(٢)

(١) بتيمة الدهر للشعالي ج ١ ص ٣٧٣ (٢) ديوان كشاجم ص ٣٣

وقال صالح بن مؤنس قصيدة في هجاء عبد الله بن أبي الجوع رواها الثعالبي في بتيمة الدهر^(١) ، وستأتي بعض أهاجي المتنبي في مصر وفي كافور .

رثاء الأخشيد :

ولا يخلو شعرهم من رثاء :

إذ كان الرثاء وما زال مظهرأ من مظاهر الوفاء للموتى ، أو التقرب إلى الأحياء من ذوى قراباتهم ، أو مشاركة في حزن عام عند فقد العزاء .

وكان موت محمد بن طفج الإخشيد مثيراً لشاعرية بعض الشعراء فرثاه جماعة ، منهم محمد بن الحسن بن زكريا^(٢) ، في قصيدة لامية تحدث فيها عن موطن العبرة في الموت ، وأنه مدرك كل امرئ أينما كان ، والدنيا فانية ، والمنون دائرة لا مفر لأحد منها ، ثم قال :

فجعتنا بواهب لا نراه يخلق الوجه عنده بابتدال
فجعتنا بمن حى حرمة الإسد لام من حادثٍ ومن ختال
فجعتنا بالباسل البطل السا حى غداةً الوغى إلى الأبطال

ويشير إلى كرمه وحرصه على المدائح بقوله :

أين من يشتري المدائح والشك ر بأسنى وفدرٍ وأوفى نوال
قطع الموت وصلنا منه كرها والردى قاطعٌ لسكل اتصال

ثم ترحم عليه وسقى جدته . ثم خرج من الرثاء إلى مدح ابنه فقال :

إن خبأ بدره فقد لاح للام ة ، لما خبا ، طلوعُ الهلال

(١) ج ١ ص ٣٤٧

(٢) نهاية الأرب للنويرى ج ٥ ص ١٨٤

نوره مُشرقٌ مضيءٌ مدى الدهر منيرٌ وليس ذا اضمحلال
ورثاه رجل آخر من شعراء مصر اسمه مهلهل بن يموت فقال (١) :
أى عز مضي من الإسلام ! أى ركن أضحى حديث الهدام
ذاق مَوْتًا محمد بن طُفُجٍ هو ليث الشرى وغيث الغمام
ويستمر في الرثاء ولا يأتى بمعنى جديد إلى أن يقول واصفًا سعة ملكه .
فَقَدَّتْكَ الفسطاط ووجد أمدى الدهر ومن بعدها بلادُ الشَّامِ
فَجُمِعَتْ بِثَرِبٍ ومكة والبيد ت إلى زمزم ، أجل ، والمقام
ويعتبر بمن مضي من الملوك السالفين الذين دهمتهم حوادث الأيام .

ثم ينتقل إلى تعزية ابنه أبى القاسم وتشجيعه فيقول :

أي هذا الأمير ، بل يا أبا القا سم يابن السמידع القمقام (٢)
ارضَ حَكمَ الإله في الملك الما ضى وسلمٌ لنا فِذِ الأحكام
وهَنَّاكَ الذى بَلَغْتَ من الأمرِ وما حُرِّزَتْه بحسن انتظام
ما كمثل الذى رُزِيتَ ولا مثل الذى قد ملكت في ذا العام
أنت مثل الإخشيد فأنهض بما مَلَّكَتْ بالجد منك والإعترام
وأورد النويرى قصيدة عينية العتنبى في رثائه وتهنئة ابنه أبى القاسم فقال :

هو الزمان مَشَتْ بالذى جمعا في كل يوم ترى من صرفه يدعا
لو كان مُمتنع تغنيه مَنَعْتَهُ لم يصنع الدهر بالإخشيد ما صنعا

ثم أشار إلى نكبة الإسلام فيه فقال :

لله ما حل بالإسلام حين تَوَى ! لقد وهى شعب هذا الدين فانصدعا

(١) شرحه ص ١٨٦ (٢) السמידع القمقام : السيد الشريف .

وجاء بأعذار عن عدم سعى اللحد إليه فقال : إنه لم يستطيع ذلك ، لأنه
يجهل قدر من حل فيه ، ثم أعظم مصيبته عند معتفيه ومنتجميه ثم قال :
لئن مضيت حميدَ الأمرِ مُفْتَقِداً لقد تركت حميدَ الأمرِ مُتَّبِعاً
وهنا تخلص من الرثاء إلى مدح خلفه أبي القاسم ، ومضى في المدح فقال :
أعطت أبا القاسم الأملأُ بيَمَّتْهَا ولو آبتُ أخذتُ أسياْفُه اليَسِيعَا
وانقاد أعداؤه ذُلًّا لهيئته وظل متبوعهم من خوفه تَبِعَا
أضحت به همُّ العُلمَانِ عَالِيَةً كَأَنَّ مَوْلَاهُمُ الْإِخْشِيدُ قَدْ رَجِعَا
ولم يكن الإخشيد مجهولاً في البلاد التي كان ينزلها المتنبي ، وقد عرفه وكرمه
من قبل . فكان رثاؤه له تقديراً وجزاءً .

والمتنبي أقوى هؤلاء الشعراء في رثائه^(١) ، وليس في شعرهم جميعاً من جديد حتى
التخلص من الرثاء إلى التهنية فإنه قديم في الأدب العربي ؛ فقد دخل عبد الله بن همام
السلولي على يزيد بعد موت معاوية فقال^(٢) :

اصبر يزيد فقد فارقت ذا مقة واشكر حباء الذي بالملك حابا كما
وكثر الجمع بينهما لما تقضى به النجامة وحسن التعزية ، وكان ذلك أكثر عند
رثاء ذوى السلطان .

* * *

(١) وكان الإخشيد بالشام في بعض السنين وبلغه خبر المتنبي ، فاستدعاه وأكرمه ، وقال
أشدنى فصيحات اللذائبة في ابن القصيصي ، (على ابن إبراهيم النخعي) فأشده ، حتى بلغ
إلى قوله .

فلما جئته ألقى محلى وأجسني على السبع الشداد
تبسم قبل تسليمي عليه وألقى كيسه قبل الوساد

فقام الإخشيد ، ولم يجلس له حتى يفرغ (المغرب ص ٣٥) .

(٢) نهاية الأرب ج ٥ ص ١٨٥

(٣) العقد الفريد ج ٣ ص ١٣٢

ومن الرثاء قصيدة طريفة في موضوعها دقيقة في معانيها حرص فيها قائلها على أن تكون ذاتية لا يشرك الميت فيها أحد ، وهي التي قالها عبد الرحمن الخشاب المصري النحوى ، في أبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفي ، المؤرخ المصري المتوفى سنة ٣٤٧ ، قال (١) :

بثت علمك تصنيفاً وتقريباً وُعدتَ بعد لذيذ العيش مندوباً
أبا سعيد ، وما نألوك إن نشرت عنك الدواوين تصديقا وتصويبا
ما زلت تلهج بالتاريخ تكتبه حتى رأيناك في التاريخ مكتوبا
نشرت عن مصر من سكانها علماً مبشجلاً بجبال القوم منصوبا
كشفت عن فخرهم للناس ما سجت ورُقِّقُ الحمام على الأغصان تطريباً
حُجِّبَتَ عنا ، وما الدنيا بمظهرة شخصاً ، وإن جل ، إلا عاد محجوباً
كذلك الموت لا يُبقي على أحد مدى الليالي من الأحباب محجوباً

شعر الأديرة وما يتصل بها :

وكان في البلاد كثير من الأديرة بعضها قريب من القسطنطينية وبعضها بعيد عنها ، وكانت مواقعها جميلة على النيل أو في سفوح الجبال ، وكان يحيط بها جنات من نخيل وأعناب ، وحدائق فيها أنواع الزهر ، وكان فيها قصف ومرح . فكثر الشعر المصري في وصف هذه الأديرة وما يتصل بها ، وصفاً يمزجه الشاعر بما كان من مقامرات وسكرات ، ومجالس أنس ولهو ، وطرب ورياضة ، وتمتع بالصيد والقنص ، وقد يذكره ممزوجاً بالحسرة على الزمن الماضي أو الشباب الذاهب . ومن هذه الأديرة التي اشتهرت في الشعر المصري : دير القصور ، ودير نهيا ، ودير طمويه ، ودير سينا ، ودير مارحنا .

(١) الأدب العباسي للأستاذ نجاتي ص ٥٠٩

ومن الشعراء الذين تحدثوا عن دير القصير شاعر مصري اسمه أبو هريرة
ابن أبي العصام قال :

كم لي بدير القصير من قَصْفٍ مع كل ذي صبوة وذى ظَرْفٍ (١)
ولأبي الفتح كشاجم قصيدة يحن فيها إلى هذا الدير ، ويذكر ما كان له من
مآرب ومشارب ، وأيام سرور ولهو ، ويحكي معه جنات حلوان والنخلات فيقول :

سلام على دير القصير وسفحه جنات حلوان إلى النخلات (٢)
منازلُ كانت لي بهن مآربُ وكانت مواخيرى ومُنْتَرَهَاتِي
إذا جثها كان الجياد مراكبي ومنصرَفِي في السُّفْنِ منحدرات
فأقتص بالأسجار وحشَى عَيْنِهَا وأقتنص الإنسى في الظلمات
ممي كلُّ بسام أغرَّ مَهْدَبِ على كل ما يهوى النديمُ مُوَاتِي
ولحمانُ مما أمسكته كلابنا علينا ، ومما صيد في الشبكاتِ
إذا ما شئت باشرت طبخه على كثرة من غلجتي وطُهَاتِي
وصفراءُ مثل التبر يحمل كأسها شديدُ فتور الطرف واللعظات
كأن قضيبَ البان عند اهتزازه تعلم من أعطافه الحركات
هنالك تصفو لي مشاربُ لذتي وتصحب أيام السرور حياتي

وكان هذا الدير على رأس جبل مشرف على النيل قرب حلوان في طريق
الصعيد ، في غاية النزاهة والحسن ، وبه صورة مريم البتول ، وفي حجرها السيد
السيح ، في غاية إتقان الصنعة . وكان أهل مصر ينتابونه ، ويتزهون فيه لقربه
من القسطنطينية (٣) .

(٢) ديوان كشاجم ص ١٩

(١) يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٦١

(٣) خطط المقرئ ج ٢ ص ٥٠٢

وفيه يقول محمد بن عاصم المصري من أواخر دولة الإخشيد^(١) :
إن دير القصير هاج أدكارى كهُوَ أيا مِنا الحِسانِ القِصارِ
وكأنى إذ زُرُّهُ بعد هجر لم يكن من منازلِ وديارى
إذ صعودى على الجيادِ إليه وأنحدارى فى المُنشآتِ الجوارى
منزلاً لست مُخَصِّباً ما بقلبى ولنفسى فيه من الأوطارِ
منزلاً من علوه كسماءِ والمصاييحُ حوله كالدرارى
كم شرِّبنا على التصاورِ فيه بصفارِ مَحْثُوثَةٍ وكبارِ
صورة من مصور فيه ظلَّت فتنة للقلوب والأبصارِ
لا وحسن العينين والشفة اللـمياء منها وخذها الجُلْدَنارى
لا تخلفُت عن مزارى ديراً هى فيه ، ولو نأى بي مزارى
فسقى الله حلوانَ فالنجدَ فدير القصير صوبَ العِشارِ
كم تنهت من لذآذة نوى بنعير الرهبانِ فى الأسحارِ
والنواقيس صائحات تنادى حىَّ يا نائماً على الإبتكارِ

ودير طمويه فى الغرب بإزاء حلوان ، والدير راكب البحر ، حوله الكروم
والبساتين والنخل والشجر ، وهو تزده عامر أهل ، وله فى النيل منظر حسن ، وحين
تخضر الأرض يكون فى بساطين من البحر والزرع ، وهو أحد منتزهات أهل
مصر المذكورة ، ومواضع لهوها المشهورة^(٢) .

ولابن أبى عاصم المصرى فى هذا الدير^(٣) .

واشرب بِطَمُويِّهِ من صهباء صافية تزرى بجمر قُرى هيتِ وعانات

(١) مسالك الأبصار لابن فضل الله العبرى ج ١ ص ٣٦٣

(٢) مسالك الأبصار ج ١ ص ٣٧١ نقلاً عن الشاشى . (٣) خطب المقرئى ج ٢ ص ٥٠٤

على رياض من النوار زاهرة
كأن بت الشقيق المصفرى بها
كأن زجسها من حسنه حدق
كأنما النيل فى صر النسيم به
منازل كنت مفتونا بها شغفا
إذ لا أزال ملما بالصَّبوح على
تجرى الجداول فيها بين جنات
كاسات خمر بدت فى إثر كاسات
فى خفية يتناجى بالإشارات
مستلثم فى دروع ساربات
وكن قدما مواخيرى وحاناتى
ضرب النواقيس صبًا بالديارات

وكان دير مارحنا على شاطئ بركة الحبش ، وكان بقره جميزة يجتمع الناس عندها ويشربون ، وكان يذهب إلى هذا الدير شاعر مصرى ظريف ماجن ، اسمه العباس ابن البصرى من شعراء أبى القاسم أونوجور بن الإخشيد وكان مقرباً إليه ويركب معه ، ويلبس طيلسانا أزرق يتشبه بالقضاة ، وكان مليح المجالسة لطيف النادرة . وللعباس شعر فى وصف الأديرة كقوله فى دير « نهيا » بالقرب من الجميزة (١) :

يا للديارات الملاح وما بها
أيام كنت وكان لى شوق بها
يا دير « نهيا » ما ذكرتك ساعة
والدهر غَضَّ والزمان مساعد
يا « دير نهيا » إن ذكرت فأنى
من طيب يوم مرَّ لى بتشوق
وأسير شوق صباقتى لم يطلق
إلا تذكرت الشباب بمفرقى
ومقامنا ومبيتنا بالجوسق
أسمى إليك على الخيول السبق

ثم يصف صيد الطيور وما صاده منها فيقول :

وإذا سئلت عن الطيور وصيدها
فالفر فالكروان فالفارور إذ
وجنوسها فاصدق وإن لم تصدق
يشجيك فى طيرانه التَحَلُّق

أشبهتَ حربَ الظيرِ في غيظانه
والزَّمجُ الغضبانُ في رهطِهِ له
ورأيتَ للبازيَّ شطوةَ مويسرٍ
كم قد صبوتَ بغيرتِي في شرتِي
وخلمتَ في طلبِ المجونِ جبايلي
ومهاجرِ ومكاسرِ ومنافرِ
لو عينَ التفاحِ حمرةَ خده
يا حاملَ السيفِ الغداةَ وطرفه
ارفقَ بعبدِكَ لا تطلِ أشجانه

لما تحرق منه كل محرق
ينحط بين صرعيد ومبرق
ولغيره ذلّ الفقير الملق
وقطعت أوقاتي برمي البندق
حتى نسبت إلى فعال الأخرق
قلق الفؤاد به وإن لم يقلق
لصبا إلى ديباج ذاك الرونق
أمضى من السيف الحسام المطلق
وارفق به يا صاحب الشجر النقي

وهذا شاعر آخر من شعراء الإخشيديين هو عبد الله بن محمد بن أبي الجوع
الذي صادق التنبي وروى عنه . وكان من كبار علماء اللغة في مصر .

كان هذا الشاعر يستبق اللذات ويهرع إليها في شعبان قبل أن يدركه
الصوم^(١) . ويدعو إخوانه إلى حفلة مريحة فيها خمر ونساء وورد وغناء فيقول :

شعبان قد صار نضوا
وليس ذلك منّا
فالمودة إلّا
حتى تقوم فنرُفوا
من بعد تقديم جدى
له ثلاثون يوما
لما انتزعتُ حشاه
ولم نغد فيه لهما
جهلا ، ولا كان سهوا
بكرت للقصف عدوا
ما خرّق الدهر رُفوا
مُسمّن ظل يُشوى
يجبو إلى الضرع حبوا
عوضته البقل حشوا

وقد عنيت بِجَامٍ مَلَأَهُ لَكَ حَلَاوِي
وقهوة بنتِ كَرَمٍ صَفَتْ مِنْ الذَّمِّ صَفْوَا
مَا شَمِشْتِ قَطًّا إِلَّا سَطَّتْ عَلَى الهَمِّ سَطْوَا
جَنَّبَهَا كُلَّ وَغْدٍ يَمْحُو المحاسنِ مَحْوَا
إِلَّا إِذَا مَا اقْتَصْنَا عَذَبَ الخلائقِ حَلْوَا

وشادِنِ ذِي دَلَالٍ يَشْدُو فيلهيكِ شَدْوَا
إِذَا غَنَاءٌ وَإِذَا عَجَائِبًا عَنْهُ تَرْوِي
حَتَّى تَظَلَّ بِمَا فِيهِ مِنْ وَقَارِكَ إِخْلْوَا
وَعِنْدَنَا لَكَ وَرْدٌ يَحْدُو المِسْرَةَ حُدْوَا
رِيحَانُهُ لَا يُوَازِي لُونًا وَعَطْرًا وَسَرْوَا
فَمَا اعْتَذَارِكَ فِي أَنْ تُفْنِي زَمَانَكَ صَحْوَا
وَأَنْتِ بَعْدَ قَلِيلٍ بِالصَوْمِ ، وَاللَّهِ ، تُطَوِّي

والناحية اللفظية في هذه القصيدة رشيقة خفيفة مرقصة ، وهي قصيدة جميلة بما فيها من سهولة ورقة وحسن تल्पف وإغراء بالطعام والشراب والفناء والريحان . وترى في هذا الوصف الخاص مقدمة لما كثر في شعر الفاطميين والأيوبيين والمماليك من تعرض للحياة الخاصة في مثل هذا الأسلوب .

وله من قصيدته التي تقدمت في وصف « دير نهيا^(١) » : أبيات في الربيع :

أَوْ مَا تَرَى وَجْهَ الرَّبِيعِ وَقَدْ زَهَتْ أَنْوَارُهُ بِنَهَارِهِ المَتَأَلَّقِ
وَتَجَاوَبَتْ أَطْيَارُهُ وَتَبَسَّمَتْ أَشْجَارُهُ مِنْ ثَمَرِ زَهْرِ مُورِقِ

لم يَنْفُدها طل الرِّذاذِ بيرده حتى تفتَح كل جفن مطبِق
والبدر في وسط السماء كأنه وجهٌ مليحٌ من قناع أزرق
وللساعر صالح بن موسى في وصف الربيع وآثاره وأزهاره :

أو ما ترى حسن الريا ض وما اكتسب من الزهر
وجه الربيع وجبذا وجه الربيع إذا ظهر
الوشى يُنَشَرُ والملا حفُ والمطارفُ والحبر
هذا البنفسجُ في الحدَا دِ بغير حُزنٍ قد ظهر
وأتى البهارُ بِصُفرةٍ فلكل حسنٍ قد بهر
وكان آذريونهُ كاساتُ خمر تُبتَدَرُ
وكانما المنثورُ عِقِدُ في جوانبه انتثر
والأقحوان فضاحك عن عسجد فيه درر
وشقائق النعمان كالـ أعلامٍ تمَّ لمن نظر
وتوردُ الورد الذكي وفاح مسكا في السحر
وتجاوبُ الطيرُ الفصو نَ بكل لحنٍ مشهر
فغردُ حسن الفينا ءِ شدا وآخرُ قد زهر
وتسرقت أنفاسنا بنسيم أنفاس السحر

وقد ترى شاعراً يقدم كتاباً إلى صديق له فيجعل التقديم شعراً ، كما فعل
الحسن بن علي الأسدي لما بعث « كتاب الأنيس » إلى صديق له : (١)
قد بعثنا بمؤنس لك في الوحدة يدعى كتاب الأنيس

فيه ما يشتهي الأديب من العلد هم وفيه جلاء هم النفوس
فيه ما شئت من بدور معان ضاحكات إلى وجوه شمس
والنفيس البهي ما زال يهدى كل حين إلى البهي النفيس

وأثر من هذا المهد نوع من الشعر الذي سميناه الشعر القضائي . ومن ذلك
أبيات قيلت في هجاء القاضي أبي بكر بن الحداد سنة ٣٢٤ والظمن في أحكامه (١) :

قولوا لحدادنا الفقيه العالم الماهر الوجيه
وليت حكماً بغير عهد وغير عقد نظرت فيه
ثم أبحث الفروج لما وقعت فيها على البديه
هذا فعال حملت فيه وزرك مع وزرٍ من بليه
وهل ترى ذا ولست فيه يجاز من مخالفه
أنكرت حالاً من ابن عمرو ما أنت فيه ومرتضيه
وخنت عهداً ، والله ربي لناقض العهد مبتليه
والمكر في الناس داء سوء والمعجب أيضاً لمرتديه

وكانت ولايته من جهة الإخشيد ، وكان رجلاً فاضلاً عالماً فلما رميت الرقاع
في المسجد تتضمن الظمن فيه ، ومنها هذه ، أجاز جماعة من المصريين عنها .
ومدحه شاعر اسمه أحمد بن محمد بن أبي الكحال بقصيدة يقول فيها :

كالشافعي تفقهاً والأصم سي تفكهاً ، والتابعي زهداً

ومدحه محمد بن موسى المعروف بسبيويه بقصيدة فيها :

ما يضر البحر أمسي زاخراً أن رمى فيه صبي بحجر

وولى قضاء مصر رجل يسمى عبد الله بن أحمد بن شعيب ، ويعرف بابن
وليد . وكان القاضي محمد بن بدر يكرهه ولا يثق بأحكامه ولا يكتبه ، فقال فيه
من قصيدة طويلة^(١) :

لو كنت تخشى قضايا المعادي لما ألقيت في كل أمر فاضح علما
أعنى عن الرشد في كل الأمور فقد أصبحت في الدين بين الناس متهما
يا ابن الوليد تدبر ما أتيت به ولا تكن للهوى مستكلا عما
لو كنت تسمع قول الحق معتمدا أو كنت تخشى عذاب الله معتصما
لما استمنت بحماد اللعين ، وما رأيت أنت له في صالح قدما
جمته كاتباً يفضي الأمور ولم يحس في العلم قرطاساً ولا قلما
وقد تولى جماعة من المصريين هجاءه أيضاً .

ولكن هذا الشعر كله — على ما في بعضه من جمال ورقة وطرافة — ترك
الميدان لشعر المتنبي الذي روى الدهر قصائده معجباً بها ؛ في مصر وفي غيرها
أكثر من ألف عام .

المتنبي في مصر :

كان المتنبي في حلب شاعر سيف الدولة ، وكان يتعالى على الشعراء ويدل
بنفسه وأديه على الأمراء ، فكثير حاسدوه ، وملئوا نفس سيف الدولة ،
فسخط عليه . وأحس المتنبي أن حلب لم تعد المنزل الكريم الذي كان ينزله من
قبل ، ففارقها إلى دمشق غضبان أسفاً .

وكانت شهرة المتنبي الأدبية تملأ الآفاق ، فلما وصل إلى دمشق أراد ابن ملك

(١) ملحق الكندي ص ٥٧٠

اليهودى — حاكمها من قبل كافور — أن يمدحه أبو الطيب ، فأبى ، وتركها إلى الرملة ؛ حيث الأمير الحسين بن طنج الإخشيد ، فمدحه ، ثم مدح أبا القاسم العلوى بعد تمنع وإباء .

حرص كافور على المتنبي :

وكان كافور يقدر أدب المتنبي ، ويعرف فضله في الإشادة بسيف الدولة ، ونشر اسمه في الآفاق . فما إن أحس بالففور بينهما ، وبانتقال المتنبي إلى دمشق حتى طلبه من ابن ملك . فلما ارتحل إلى الرملة طلبه من أميرها الحسين بن طنج الإخشيد .

مدحه وهجاؤه لكافور :

وجاء المتنبي إلى كافور بمصر فنزل عنده منزلاً كريماً ؛ ولكنه جاء وفي نفسه أشد الأسف لفراق سيف الدولة ، والتبرم بالأعداء الذين أوقفوا بينهما ، والسخط على الأصدقاء الذين لا وفاء عندهم ، وكان كبير الآمال طامعاً في الحكم . فقدم على كافور راجياً أن يهب له ضيعة أو ولاية ؛ ولهذا نرى أكثر شعره في مصر يدور حول هذه الأغراض : الحنين إلى المهد القديم ، والأمل في المستقبل الباسم عند كافور ، والشكوى من الأيام والناس لما لقي منهم ، والفخر بنفسه وبأصله . وقد تجد ذلك كله في أول قصيدة مدح بها كافوراً ، لما وفد عليه سنة ٣٤٦ . وهي التي مطلعها :

كنى بك داءً أن ترى الموت شافيا وحسبُ النسايا أن يكسُن أمانيا
تمنيتها لما تمنيت أن ترى صديقاً فأعيا ، أو عدواً مُداجيا

ومنها :

حَبَبَتْكَ قَلْبِي قَبْلَ حُبِّكَ مِنْ نَأَى
وَأَعْلَمُ أَنْ الْبَيْنَ يَشْكِيكَ بَعْدَهُ
وَتَحَدَّثَ عَنِ خَيْلِهِ الَّتِي سَارَتْ :

قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارَكَ غَيْرُهُ
فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانَ عَيْنِ زَمَانِهِ
ثُمَّ يَخَاطِبُهُ فَيَقُولُ :

أَبَا كُلِّ طَيْبٍ ، لَا أَبَا الْمَسْكَ وَحَدَّهِ
وَيَسْأَلُهُ مَا يَرِيدُ فِي قَوْلِهِ :

وغيرُ كثيرُ أن يزورك راجلُ
فقد تهب الجيش الذي جاء غازياً
فيرجع ملكاً للمراقين والياً
لسائلك الفرد الذي جاء عافياً

ويقول صاحب الصبح المنبى^(١) إن أبا الطيب سأل كافوراً أن يوليه صيداء من بلاد الشام ، أو غيرها من بلاد الصعيد فأبى ، وألح أبو الطيب ، فقال لكافور في شوال سنة ٣٤٧ هـ :

أَبَا الْمَسْكَ هَلْ فِي الْكَأْسِ فَضْلٌ أَنَالَهُ
وَهَيْتَ عَلَى مَقْدَارِ كَسْبِي زَمَانَنَا
فَإِنِّي أَعْتَيْتُ مِنْذُ حِينٍ وَتَشْرَبُ
وَإِنْفَسِي عَلَى مَقْدَارِ كَفَّيْكَ إِن تَطْلُبُ
فَجُودِكَ يَكْسُونِي وَشَغْلِكَ يَسْلُبُ
إِذَا لَمْ تَنْطُ بِبِي ضَيْعَةً أَوْ وِلَايَةً

ولا تخلو قصائده بعد ذلك من هذه المعاني أو أكثرها ، وقد يضيف إليها هتافاً أو استبطاءً ، ولكن كافوراً اكتفى بالمال الذي كان يهب له ، والتكريم الذي كان يخصه به . ولم يعطه ضيعة ولا ولاية . فامتنع النبي عن مدحه زمناً ، وضاق ذرعاً

(١) هامش المكبرى ج ١ ص ١١٥

به وبمن حوله ، وما لقيه منهم من جفاء وإعراض ، وحبسه كافور عن الرحيل ،
فاحتال حتى خرج من مصر في يوم العيد سنة ٣٥٠ بعد أن قال في هجاء كافور
قصيدة دالية مقذعة مطلعها :

عيدُ بآيةِ حالِ عدتِ يا عيدُ بما مضى أم بأمر فيك تجديدُ

وطعن فيها كافورا طعنات جارحة إذ يقول .

إني نزلت بكذابين ، ضيفهمُ عن القيرى وعن الترحال محدودُ
جودُ الرجال من الأيدي ، وجودهمُ من اللسان ، فلا كانوا ولا الجودُ !
ما يقبض الموتُ نفساً من نفوسهمُ إلا وفي يده من تنبها عودُ
من كل رِخْوٍ وكاءِ البطنِ منفتقِ لا في الرجال ولا في النسوان معدودُ
أكلما اغتال عبد السوء سيدهُ أو خانه فله في مصر تمهيدُ !
صار الخصى إمام الآقين بها فالحرُّ مستعبدٌ ، والعبدُ معبودُ
نامت نواطيرُ مصر عن شمالها فقد بِشَمْنٍ وما تفنى العناقيدُ
العبد ليس لحر صالح بأخٍ لو أنه في ثياب الحرِّ مولودُ
لا تشتري العبدَ إلا والعصا معه إن العبيدَ لأنجاسُ مناكيدُ
إلى آخر هذه القصيدة .

وهجاء ، وذم أهل مصر معه ، وحرص على قتله ، فقال :

ساداتُ كلِّ إنسانٍ من نفوسهمُ وسادةُ المسلمين الأعبدُ القُزْمُ
أغايةُ الدين أن تُحفوا شواربكم يا أمةً سخَّكت من جهلها الأممُ
ألا فتى يوردُ الهنديَّ هامتهُ كما تزولُ شكوكُ الناسِ والهم!

ويقول في مصر وما فيها من المضحكات وانقلاب الأوضاع كارتفاع الوزير ابن
الفرات وكافور ، اللذين سادا وخضعت لهما الرقاب .

وكم ذا بمصرَ من المضحكاتِ ولكنه ضحك كالْبُكا
بها نَبَطِيٌّ من أهل السواد يُدرِّسُ أنساب أهل العُلا
وأسود مشْفَرُهُ نصفُهُ يقال له أنت بدرُ الدُّجى !

أراد بالنبطي الوزير ابن الفرات . وأراد أن يثير أهل البلاد على كافور ووزيره .
فأتهمه بقتل مولاه بعد خيانتة ، وعجب أن يكون ذلك مبرراً للحكم في مصر ،
وتحدث عن أصله الذي لا يرفعه إلى أى مقام ، بله الإمارة ، وحرص عليه علانية
« كما تزول شكوك الناس واتهم » .

بعض خصائص المدح والهجاء عنده:

ويظهر أن المتنبي اعتمد كثيراً على اسم كافور وأصله وجسمه ولونه في مدحه
وهجائه له ، كما كان يحاول ذلك في أكثر مدحه وهجائه ، وتراه يحسن الانتفاع
بذلك إلى حد كبير ، فيجمل أبا المسك « أبا كلَّ طيبٍ لا أبا المسكِ وُحده » .
ويرى أن كنيته بأبي المسك ليست من ذلك المطر الأسود ولكنها من عاطر الثناء عليه :

وَمِيسِكَ يَكْنِي بِهِ لَيْسَ بِالْمَسْكِ ولكنه أَرِيحُ الثناء

وَأَنَّ سِوَادَ الْجِلْدِ لَيْسَ أَمْرًا إِذَا قَيْسَ بِيِضِاضِ النَّفْسِ وَصَفَاءِهَا :

إِنَّمَا الْجِلْدُ مُلْبَسٌ ، وَأَبْيِضِاضُ النَّفْسِ خَيْرٌ مِنْ أَيْضِاضِ الْقَبَاءِ

بل جاوز المتنبي هذا الحد ، فجعل السواد أمنية الملوك ، ولكن من

لهم به !

مَنْ لَبِيضَ الْمُلُوكِ أَنْ تَبَدَّلَ الْأَسْوَدُ بِلَوْنِ الْأَسْتَاذِ وَالسَّحْنَاءِ

ولكنه حين يسخط ويقسو على كافور يذيقه العذاب الأليم من هذه العيوب
فيجمله — فيما رأينا — « رِخْوَ وكاءِ البطن » ، لا يمد في الرجال ولا في النسوان
ويجمله « أمة حبلى » « وأسود مشفره نصفه » ، ويفكر عليه أن يصل إلى
أى فضل أو مكرمة لأنه وضع الأصل :

من عَمَّ الأسودَ المحصى مَكْرَمَةٌ أقومُه البيضُ أم أبأوه الصَّيدُ
أم أذنه في يد النخاسِ داميةٌ أم قدره وهو بالفلسين مردود
ويصفره بتصغير اسمه ، فيقول :

أولى اللثامِ كَوَيْفِيرٌ بمعدرة في كل لؤم ، وبمضُ العُذْرُ تفنيدُ
وذاك أن الفحولَ البيضَ عاجزةٌ عن الجميل فكيف الحصىة السود
ويسخر منه فيقول :

ويعجبني في النمل رجلاك إننى رأيتك ذا نمل إذا كنت حافيا
وإنك لا تدري ألونك أسود من الجهل ، أم قد صار أبيض صافيا
ويجمله غاية في إثارة الضحك وطرده أحزان الشكالي ، فيقول له :

ومثلك يؤتى من بلادٍ بعيدةٍ ليضحك رباتِ الحدادِ البواكيا

أما أصل كافور فكان موضع عناية أبي الطيب مدحاً وهجاءً ، وكان يبدع
حينما يغالط على طريقة الشعراء ، فيجعل أفعال كافور تعنى عن النسب فيقول :

وينيك عما ينسبُ الناسُ أنه إليك تناهى الكرمات وتُنسبُ
وأى قبيل يستحقك قدره ! مَعْدُ بنِ عدنانِ فذاك ويمُربُ

ثم هجا أصله فرده أسفل سافلين ، وذمه وذم كل عبد معه إذ قال : « إن العبيد

لأنجاس مناكيد » وقال : « العبد ليس لحر صالح بأخ » ، وشعراً كثيراً في رقه ،
وبعده عن المكارم لضمة أصله ، وبطء نسبه .

وكان هذا الاعتماد على اللون والاسم والأصل والجسم إبداعاً من المتنبي
في عصر ساد فيه البديع ، ولسكنك لا تحس بشيء من التكلف في تلاعب المتنبي
بإسم كافور أو لقبه أو لونه ، إذ أنه كان يرى بعقله وذكاؤه مواطن المدح والذم في هذه
النواحي ، فيصوغها صياغة فريدة تبمدها عن التكلف والثقل .

حساده بمصر :

وكان لأبي الطيب حساد بمصر نقدوا أدبه ، وحرفوا معانيه ، وتبعوا عثراته ،
ومن هؤلاء : الوزير جعفر بن الفرات الملقب بابن حنزابه ، ومحمد بن موسى الملقب
بسيويه المصري ، والشاعر صالح بن مؤنس ، وكان أصل هذا الحسد أو العداوة
أن المتنبي أبي أن يمدح هذا الوزير فسخط عليه ، وأثار خوف كافور منه . فكان
سبياً في حرمانه أن يقال ضيعة أو ولاية كما كان يرجو .

أما سيويه المصري فكان نحويّاً أديباً ناقداً ، ولعل ابن حنزابه أثاره على
المتنبي فكان يتلمس أخطاءه ويذمها . ومن ذلك أنه عاب عليه قوله :

أبا المسك هل في الكأس فضل أنا له فإني أغنى منذُ حينٍ وتشرّبُ
وعد ذلك استهانة بكافور واتهاماً له بالبخل ، وعد من قلة الذوق أن يقول

المتنبي لكافور :

وما طربني لما رأيتك بدعة لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب

وقال إنه جعل الأمير كالفرد يتراحم الناس عليه ليطربوا برؤية الأعيه .

ويُجْهَل المتنبي بالنحو لأنه رفع الفعل (أطرب) والواجب أن ينصب لأنه

معطوف على « أرى » .

وروى أن سيويه كان يقول : مدح الناس المتنبي لقوله :
ومن نكيد الدنيا على الحر أن يرى عدواً له ما من صداقته بدء
ولو قال : « من مداراته أو مداجاته بد » لكان أحسن . وقيل إن المتنبي
اجتاز به فقال له : بلغني أنك أنكرت على قولي : « عدواً له ما من صداقته بد »
فما كان الصواب عندك ؟ فقال له : إن الصداقة مشتقة من الصدق في المودة ،
ولا يسمى الصديق صديقاً وهو كاذب في مودته ، فالصداقة إذاً ضد العداوة ،
ولا موقع لها في هذا الموضع . وجاءه بشاهد من الشعر . فتبسم المتنبي وانصرف
وسيويه بصييح عليه : أبكم الرجل وجلال الله (١) .

وقول المتنبي قول شاعر يتصرف في اللغة أكثر من حدود القواميس .
ولا أظنه كان يمجز عن الرد على سيويه ، وأن يخرج البيت على أن المراد بالصداقة
آثارها كالتبسم والتلطف والمجاملة الخ ، ولكن المتنبي أهمله هنا كما أهمل ابن خالويه
وأمثاله في الشام ، وأظن ابتسامته بعد ما سمع نقد سيويه كانت ابتسامته استهزاء .
على أن المدح الذي يشمل من اللعاني ما يجرح كافوراً أو يحقر من شأنه كان
أشد فعلاً في نفس كافور ، كالبيت المتقدم ، « وما طربني لما رأيتك بدعة » .
وقوله :

ولله سر في علاك ، وإنما كلام العدا ضرب من الهديان
وكذلك كان إكثار أبي الطيب من الإشارة إلى سواده في مدحه ؛ مهما أجاد
في ذلك .

وكان المتنبي يمحرم من يعجب به ويروي شعره من الأدباء ، كأبي علي صالح
ابن رشدين الكاتب الشاعر . يقول فيه صاحب يتيمة الدهر (٢) « أحد أئمة
الكتاب ، المهرة في سائر الآداب ؛ صحب المتنبي وروى شعره » .

(١) الصبح المنبي ص ١١٨ وما بعدها على هامش المكبري ج ١

(٢) ج ١ ص ٣٥٧

ومنهم عبد الله بن أبي الجوع الأديب الكاتب الشاعر « أحد رواة المتنبي الأديباء ، وأصحابه العلماء ، ومن عمهر في لغة العرب ، وأجاد أنواع الأدب^(١) » .
وسبق له بعض الشعر الجميل .

وصف مصر :

ويؤخذ على المتنبي أنه فتح عينيه على جمال الريف المصرى ، وعظمة النيل ، وضخامة الأهرام ، فلم تحرك مشاعره هذه المناظر ، ولم تثر خياله تلك المعجائب ، ولم يؤثر عنه إلا بيت واحد في الأهرام ، قاله عرضاً في رثاء فاتك أبي شجاع : وهو
أينَ الذى الهرمان من بنيانه ما قومه؟ ما يومه؟ ما المصراع؟
تتخلف الآثار عن أصحابها حيناً ، ويدركها الفناء فتتبع
والحق أنه كان منصرفاً عن هذا كله ، كما انصرف عما رأى بالشام من جمال المناظر وسحر الطبيعة ، لأنه كان مشغولاً بأشياء آخر ملكت عليه قواده وشعوره ؛ كطلب المال والولاية ، فانصرف إلى المدح والهجاء والفخر وشكوى الزمان وسوء الحظ ، ولو أنه انصرف إلى شيء من وصف الطبيعة والآثار لجرى لسانه بالسحر الحلال ، كما فعل عندما وصف شعب بوان ، عرضاً ، وهو ذاهب إلى مدح عضد الدولة .

وصف الحمى :

وقد أثرت ظروفه الخاصة في شعره ، ومن ذلك قصيدته التى يصف فيها الحمى لما أصابته بمصر ، وصفاً يبدأ بعد من عيون الشعر العربى ، واستقلت القصيدة به إلا قليلاً من الأبيات التى لم تخل من شكوى أو حكمة أو شبه ذلك ؛ فإنه شكا فيها النفاق

وشك في الود . ولعل الدافع إليها كان الشكوى من الزمان ، والرغبة في الفخر
أكثر من وصف الحمى حيث يقول :

فلما صار ودُّ الناس خِيبًا جزيتُ على ابتسامٍ بابتسامٍ
وصرت أشك فيمن أصطفيه لعلمي أنه بعضُ الأنامِ
ومنها :

ولم أر في عيوب الناس شيئًا كنتقص القادرين على التمام
ويبدأ حديثه عن الحمى وما فعلت به فيقول إنها أقعدته وألزمته الفراش ،
واستمع إليه وهو يقول :

أقت بأرض مصر فلا ورائي تحبُّ بي الطي ولا أمانِي
وملّسني الفراشُ وكان جنبي يملُّ لقاءه . في كلِّ عامِ
قليلٌ عائدي ، سقيمٌ فؤادي كثيرٌ حاسدي ، صعبٌ مرأى
عليلٌ الجسمِ ، ممتنعُ القيامِ شديدُ السكر من غير المدَامِ
وكانت تزوره غبا ، وتضنيه ليلا ، وتوسمه سقاما ، وتفرقه في عرقه ، وكان
يخشى موعدها ، ويكره صدقها ، ويحس بذلك كله في نفسه ، فينطلق به لسانه
مصبوغاً بصيغة أدبه من قوة التعبير ، وضخامة الألفاظ ، وحسن التعليل وجمال
الخيال فيقول :

وزائرتي كأنَّ بها خيَاءً فليسَ تزورُ إلا في الظلامِ
بذلت لها المطارفَ والحشايا فعافتها وباتت في عظامي
يضيقُ الجلدُ عن نَفْسِي وعنِها فتوسعه بأنواع السقامِ
وانظر إلى التعليل الغريب لما يصيبه من عرق الحمى عند انتهاء نوبتها إذ يقول :
إذا ما فارقتني غسلتني كأنَّ عاكفان على حرامِ
كأن الصبح يطردها فتجري مدامعها بأربمة سجامِ

أراقبُ وقتها من غير شوق مراقبةَ الشُّوقِ المُستَهامِ
ويصدقُ وعدُّها ، والصدقُ شرٌّ إذا ألقاك في الكُربِ العِظامِ
ويعجب من وصولها إليه على رغم الشدائد التي تراجمت ، وكانت جديرة أن
تحول بينها وبينه فيقول :

أبنتَ الدهرِ ، عندي كلُّ بنتٍ فكيفَ وصلتِ أنتِ من الرِّحامِ !
جرحتُ مُجرَّحاً لم يبق فيه مكانٌ للسيوفِ ولا السِّهَامِ
ثم يحرص على أن يتخلص إلى الفخر والشكوى فيقول :

يقول لى الطبيب أكلت شيئاً وداؤك في شرابك والطعامِ
وما في طِبِّهِ أنى جَوادٌ أضراً بجسمه طول الحمامِ
ثم يقول :

فإن أمرض فما مرض اصطياري وإن أُحَمُّ فما حُمٌّ اعتزاي
وإن أسلم فما أبقي ، ولكن سلمتُ من الحمامِ إلى الحمامِ
وزى كثير من الأبيات التي تسير مسير الأمثال في هذه القصيدة ، كما نرى بعض
المعاني المتأثرة بالفلسفة في صورة أدبية قوية كالبيت الأخير .

صلاته بأبي شجاع فاتك .

وهناك وال آخر مدحه المتنبي بمصر ، ورثاه بعد موته ، وصدقه المحبة في شعره
مادحاً ورائياً ، هو أبو شجاع فاتك ، الذي كان مولى للاخشيد مع كافور . وكان يحكم
الفيوم ويقوم بها ، واشتدت به العلة فقدم مصر للتداوى سنة ٣٤٨ ، وأبو الطيب
فيها . وكان يسأل عنه قبل أن يراه ؛ ثم التقيا ، وأهدى إليه فاتك هدايا متتابعة
كانت أولها ألف دينار . فاستأذن أبو الطيب كافوراً في مدحه فأذن له ، فدحه

بقصيدة من خير قصائده مطلعها :

لا خيلَ عندك تهديها ولا مالُ فليُسعِدِ النطق إن لم يُسَمِدِ الحال .
واجيزِ الأمير الذي نَماءُ فاجئُهُ بغيرِ قولٍ ، ونمىَ الناسَ أقوال .
وكان فاتك يلقب المجنون لشجاعته فقال فيه .

وقد يلقبه المجنون حاسده إذا اختلطن وبمض العقْل عَقَّال

إذا العدى نشبت فيهم مخالبه لم يجتمع لهم حلم ورثـال

وظل المتنبي وفيآله بعد موته فرثاه بعد أن ترك مصر سنة ٣٥٠ في القصيدة

العينية التي مطلعها :

الحزن يقلق والتجمل يردع والدمع بينهما عصي طيِّع

وهي من المراثي الفارقة . ورثاه بأبيات في قصيدة أخرى قالها بعد خروجه

من بغداد سنة ٣٥٢ مطلعها :

* حتام نحن نساىى النجم فى الظلم *

وقد ضرب مثلا عظيما فى الوفاء بهذا الرثاء .

ثم يأتى الفاطميون إلى مصر وتستقل عن العباسيين استقلالاً يظهر أثره فى

أدب العصر التالى .